مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

آفاق العلاقات الروسية الهندية

أحمد خليل أرتيمتي

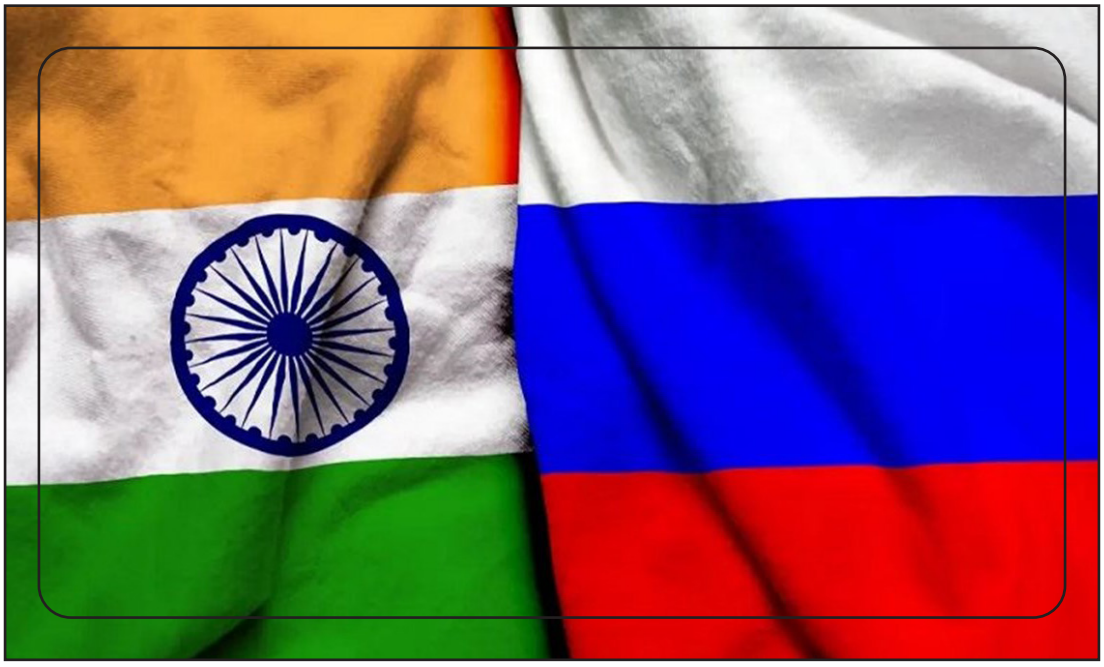

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

آفاق العلاقات الروسية الهندية

أحمد خليل أرتيمتي *

تتظافر الفواعل الدولية لترسيم نظام عالمي جديد ذي مفهومية متعددة في ظل المستجدات والأحداث العالمية الراهنة، خصوصاً بعد الحرب الروسية الأوكرانية، إذ تسعى الدول التي نالت عقوبات غربية إلى تمتين علاقتها مع بعضها بعضاً في جبهة مناوئة ومجابهة لتلك العقوبات والعزلات الدولية، وبهذا المفهوم فقد سعت روسيا إلى ترسيخ علاقتها مع الدول الصاعدة وذات الاقتصادات الناشئة، وتوجيه علاقتها نحو شراكات في ميادين متعددة؛ لتعويض أسواقها وصادراتها نحو دول شرق آسيا ووسطها؛ بحثاً عن بدائل توفِّر أرضية مناسبة لإنعاش اقتصادها، إذ تعمل الإستراتيجية الروسية اليوم إلى استغلال مسيرتها التاريخية من التعاون والشراكة مع الهند؛ لتخفيف تأثيرات تلك العقوبات الأمريكية والغربية، فضلاً عن كسب دولة كبرى مثل الهند في معسكر الدول المناهضة للسياسة الأمريكية والغربية، مع وجود عديد من التحديات التي لا تسمح للهند بالانضمام لهكذا تحالفات، خصوصاً وهي لديها علاقات وتحالفات عسكرية واقتصادية وتجارية بمستوى رفيع مع الولايات المتحدة فالتنحي عن تلك الامتيازات ستكون لها عواقب لا ترحم النظام السياسي والاقتصادي في الهند، خصوصاً وهي كانت من أولى الدول التي أوجدت مفهوم عدم الانحياز التي تبنتها في ستينيات القرن الماضي؛ ساعية بذلك إلى تجنُّب الاصطفاف ضمن المعسكرات المتنافسة آنذاك، ومستندة لفكرة البرغماتية في السياسة الخارجية، إلا أنَّ الأحداث الأخيرة على الساحة الدولية دعت بالدولتين إلى اتخاذ عديد من المواقف، منها عدم توجيه الهند انتقادات على موقف روسيا في أزمة شبه جزيرة القرم عام 2014، وتأييد روسيا عن سياسات الهند في إقليم كشمير، فضلاً عن امتناع الهند عن التصويت على مشروع قرار الأمم المتحدة؛ لإدانة الغزو الروسي على أوكرانيا في مجلس الأمن الدولي، وقد أشادت روسيا بهذا الموقف وأصدرت بياناً أشارت فيه إلى تعهُّدها بمواصلة الحوار الوثيق مع الهند؛ بشأن الأوضاع حول أوكرانيا، لكن تقارب روسيا مع الدول المجاورة للهند كالصين وباكستان كانت وما تزال حجر عثرة في نمطية العلاقة بين الدولتين، خصوصاً مع تركيز الولايات المتحدة الأمريكية لتوثيق تعاونها مع الهند في تحالفات عسكرية كانت في بواطنها مساعٍ لتحجيم الدور الصيني، وتخفيف قوة العلاقة ما بين روسيا والصين، والتأثير على إستراتيجية هاتينِ الدولتين في نطاق شرق القارة الآسيوية ووسطها، فالغاية الأمريكية هو تقزيم النفوذ الروسي،

* باحث في الشأن الروسي.

والخنوع للعقوبات، وإعلان انسحابها غير المشروط من أوكرانيا في ظل حرب الاستنزاف التي تمارسها واشنطن إزاء روسيا في أوكرانيا، فضلاً عن سعيها إلى إيصال رسائل غير مباشرة للدول التي تسعى إلى خلق نظام عالمي ذات تعدُّدية قطبية، ممَّا يمهِّد إلى إسقاط الهيمنة الأمريكية في العالم، وترى الولايات المتحدة الأمريكية أنَّ الهند أحد أهم العوامل التي قد تقف وتحد من النفوذ الصيني والروسي في شرق القارة الآسيوية. تمهِّد لنا كل هذه المعطيات والمواقف التساؤل حول أسباب تردُّد الموقف الهندي في الحرب الروسية الأوكرانية، وماهية فكر صناع القرار في الهند؟ وما المحدِّدات والعقبات في العلاقات الروسية الهندية؟

عقود من التعاون في القرن العشرين...

بعد (90) عاماً من الاستعمار البريطاني استقلت الهند في أواسط شهر آب 1947، وسعت إلى تبنِّي سياسة خارجية تتميز بالاستقلالية والحيادية في توجهاتها السياسية والإستراتيجية؛ لتتأخذ من البرغماتية منطلقاً لتعاملاتها مع الوحدات الدولية والقضايا العالمية، ففي تلك الحقبة التي طافت بالعالم من انشطار لمعسكرين (الشرقي والغربي) رفضت الهند سياسة الأحلاف بوصفها انتهاكاً لقرارها المستقل، ونظرياً أرادت علاقات جيدة مع كلٍّ من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، لكن عملياً، كان لأول رئيس وزراء للهند (جواهر لال نهرو[1*]) فكرة مشرقة عن الاتحاد السوفيتي، وتفضيل لأفكار الاشتراكية الفابية (الاشتراكية البريطانية التي تهدف إلى تعزيز مبادئ الاشتراكية الديمقراطية عبر التدريج والإصلاح، وليس عن طريق الثورة)، وأدَّى هذا إلى توثيق العلاقات بين الهند والاتحاد السوفيتي، في حين انخرطت باكستان كشريك للولايات المتحدة[2]، وأُقيمت العلاقات الدبلوماسية بين الهند والاتحاد السوفياتي في 13 نيسان 1947، وظلت هذه العلاقات الإستراتيجية المتعددة الأبعاد (العسكرية، والاقتصادية، والدبلوماسية) قوية بين البلدين[3]، مع أنَّها كانت من أولى المبادرين في تأسيس حركة عدم الانحياز عام 1955 إلى جانب مصر ويوغوسلافيا وإندونيسيا؛

1* . جواهر لال نهرو، (من مواليد 14/9/ 1889، الله أباد، الهند – توفي في 27/5/1964، نيودلهي)، أول رئيس وزراء مستقل للهند (1947 – 1964)، أسست حكومة برلمانية وأصبحت معروفة بسياساتها الحيادية (عدم الانحياز) في الشؤون الخارجية. وكان أيضاً أحد القادة الرئيسيين لحركة استقلال الهند في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي.
https://www.britannica.com/biography/Jawaharlal-Nehru

2. محمود العدم، لماذا لا ترغب الهند في الابتعاد عن روسيا لصالح أمريكا؟ قناة تي أر تي عربي، 1/4/2022، الموقع الإلكتروني:
www.trtarabi.com/opinion/8413905

3. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-2)، مجلة الميادين، 4/5/2022، الموقع الإلكتروني:
www.almayadeen.net/research-papers/2-2

لتجنُّب الانجرار إلى لعبة القوى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ضمن حقبة الحرب الباردة، إلا أنَّ تعزيز المساعدات السوفيتية في المجالات الاقتصادية والعسكرية نالت ثقة القادة الهنود، ولم يُنظر إلى مبيعات الأسلحة السوفيتية و(الروسية لاحقاً) على أنَّها وسيلة لموسكو للاحتفاظ بالسوق الهندية، لكن غالباً ما استُقبلت بترحاب، فالقرار الروسي (الفيتو) في مجلس الأمن بشأن كشمير، جعل نيودلهي تنظر إلى موسكو بوصفها حليفاً إستراتيجياً، ولقد أثبتت موسكو باستمرار أنَّها شريك موثوق به لنيودلهي في أوقات الحاجة، فمنذ منع الولايات المتحدة تصدير الأسلحة إلى شبه القارة الهندية في حرب كشمير عام (1965)، كان الاتحاد السوفيتي آنذاك هو المورِّد الأول للأسلحة إلى الهند. في حين دعمت الولايات المتحدة باكستان في حرب تحرير بنجلاديش عام (1971) عبر إرسال حاملة طائرات إلى خليج البنغال فازدادت العلاقات الهندية الأمريكية تدهوراً حتى عام 1991، بالمقابل دعمت موسكو الهند، خصوصاً حينما أجرت نيودلهي تجاربها النووية في أواخر التسعينيات، بل ساعدتها بالفعل في برنامجها النووي[4].

وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي عام 1991 فإنَّ العلاقات المتقاربة بين الهند وروسيا ظلت قائمة، فجرى توقيع معاهدة جديدة للصداقة والتعاون بين البلدين بتاريخ 28 كانون الثاني 1993، بوصفها وثيقة رئيسة تقوم عليها العلاقات الروسية الهندية الجديدة، لكن هذه الصداقة التي صمدت أمام الزمن تعرضت لضغوط تقلُّب التحالفات العالمية، وتغيَّرت على مدار السنوات القليلة الماضية، فمع التقارب بين الهند والولايات المتحدة، عزَّزت روسيا علاقاتها بجنوب آسيا لتتقارب بدورها مع جيران الهند (الصين–باكستان)، وكيَّفتِ السياسة الخارجية الهندية نفسها مع العالم الأحادي القطب، ونمت صلات أوثق بالولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي، وخصوصاً مع صعود التيار اليميني في الخريطة السياسية الداخلية في الهند، وتولي قيادات حزب «باراتيا جاناتا» الحكم، وتراجع دور حزب المؤتمر ذي النزعة الاشتراكية، الذي قاد الهند منذ الاستقلال حتى مطلع التسعينيات، فزاد التبادل التجاري والاستثمار المتبادل بين الهند وهذه الدول الغربية، والتعاون في قضايا الأمن الدولي. وفي الجانب الآخر فإنَّ التقارب الروسي الصيني–الروسي الباكستاني كانت إحدى العوامل المؤثرة إلى لجوء الهند إلى تعزيز علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب[5].

4 . شروق مستور، العلاقات الروسية الهندية في ظل أزمة أوكرانيا، مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، 29/3/2022، الموقع الإلكتروني: https://fikercenter.com/2022/03/29.

5 . ذكر رحمن، تحولات العلاقات الهندية الروسية، 25/4/2021 الموقع الإلكتروني: https://www.alarabiya.net/politics/2021/04/25/

المحدِّدات والقيود في العلاقات الروسية الهندية

تُعدُّ العلاقات الروسية الهندية إحدى أهم العلاقات التي تضمنت عديداً من المواقف والتحديات في طبيعة تعاطيها مع الأحداث في المنطقة، وكانت ترتكز على عديد من المحدِّدات والمؤثِّرات الداخلية والخارجية التي أثَّرت وغيَّرت من طبيعة صناع القرار في كلتا الدولتين، خصوصاً أنَّ جوهر هذه العلاقة هي كانت مبنية على أسس التعاون التفاهم والشراكة في عديد من الميادين، فلا بدَّ أن يُنْظَر إلى تلك الجوانب؛ لفهم طبيعة السياسات المتبادلة بين الدولتين.

1. المحدِّدات الداخلية

أ. الطاقة

يُعدُّ موضوع الطاقة أحد أهم مقومات العلاقة بين روسيا والهند، إذ قرَّرت الدولتان في وقت سابق تعزيز التعاون الاقتصادي الثنائي، وتعزيز ممر فلاديفوستوك–تشيناي للطاقة، وهو بوابة لروسيا إلى الهند والمحيط الهادئ، ومصدر بديل للطاقة للهند، بدلاً من الاعتماد على الشرق الأوسط المتقلِّب[6].

وفي كانون الأول/ديسمبر 2005 وتشرين الثاني/نوفمبر 2007، زار روسيا رئيس الوزراء الهندي مانموهان سينغ في زيارتين رسميتين، ووقع فيهما عدداً من الاتفاقيات في مجال الفضاء والتعاون العسكري–التقني.

كما جرى في شباط/فبراير 2008 التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاقية التعاون بين البلدين في مجال الطاقة النووية، وتقضي الاتفاقية بإنشاء (4) مفاعلات نووية في المحطة الذرية الهندية، التي تولت روسيا تشييدها بناءً على التصميم الروسي، وبواسطة المعدات الروسية. كما يقدِّم (50) خبيراً روسياً عوناً فنياً في تحقيق المشروع. غير أنَّ أعمال الإنشاء والتركيب كلها تقوم بها شركات هندية[7].

وتعاون الطرفان في أهم مشاريع التعاون الثنائي، وهي تشغيل حقل النفط والغاز (ساخالين–1) والتنقيب عن الغاز في الجرف القاري في خليج البنغال، الذي تشارك فيه شركة النفط والغاز الحكومية الهندية ONGC))، وشركة «غازبروم» الروسية، كما أنَّ مشاركة روسيا والهند في إعداد المشروع الخاص بتوريد الغاز الإيراني إلى الهند، قد تكون أحد الاتجاهات الرئيسة للتعاون

6 . شروق مستور، مصدر ذُكِرَ سابقاً.
7 عبدالخالق فاروق، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

المقبل بين شركة (غازبروم) وشركة (GAIL) الهندية. وتبدي شركة (غازبروم) اهتمامها أيضاً بالمشاركة في إنشاء خط أنابيب الغاز (ميانمار– بنغلادش– الهند) بصفة شركة استشارية، وذكرت صحيفة «نيزافيسيمايا» الروسية أنَّ الهند تبرز كوكيل اقتصادي رئيس لروسيا في آسيا، مشيرة إلى أنَّ الشركات الهندية تعمل على زيادة واردات النفط والفحم الروسيين، بل تدفع بالعملات الآسيوية بدلاً من الدولار الأمريكي[8]، وأغوت روسيا الهند بشراء النفط الروسي، عبر تقديم ما وصفه مراقبون بأنَّه «تخفيضات قياسية». وبلغ الخصم الذي قدمته موسكو للهند نحو (35) دولاراً لكلِّ برميل نفط، ومع الاستهجان الغربي والأميركي لهذا السلوك، ردَّتِ الهند بتأكيد شرائها النفط الروسي أسوة بأوروبا، بالنظر لحاجة اقتصادها للتعافي بعد جائحة (كورونا) التي كبدتها نيودلهي خسائر فادحة، كما نوَّهتِ الهند إلى أنَّها زادت من وارداتها من النفط الأميركي، وهو ما يعني أنَّها لا تهدف إلى التصعيد مع المعسكر الغربي في هذا التوقيت[9].

وتُعدُّ الهند ثالث أكبر مستهلك للنفط في العالم، وهي تستورد ما يقرب من (85%) من احتياجاتها من النفط الخام، لكن التطورات على الساحة الدولية شكَّلت تحديات كبيرة لأمن الطاقة في الهند، التي اضطرت تحت الضغوط الغربية إلى وقف استيراد النفط من إيران وفنزويلا، وفي ظل الارتفاع الحاد لأسعار النفط بعد اندلا ع النزاع في أوكرانيا، فلا بدَّ لها من البحث عن مصادر تنافسية بديلة.

واشترت شركة النفط الهندية الحكومية (3) ملايين برميل من النفط الخام من روسيا؛ لتأمين احتياجاتها من الطاقة، مقاومة الضغوط الغربية لتجنُّب مثل هذه الصفقات، كما وضعت نيودلهي آلية تعامل بالعملات الوطنية لتمويل واردات النفط الروسي، لكنَّها واجهت –وَفْق وسائل إعلام محلية– ضغوطاً أمريكية لوقف هذه الإجراءات.

ومن المتوقع أن تقدِّم روسيا عروضاً جديدة للهند؛ لمضاعفة حصتها في سلة الطاقة الهندية، خصوصاً مع التوقعات بأن يقفز الطلب الهندي على النفط إلى نحو (5.15) مليون برميل يومياً[10].

8. صحيفة روسية: الهند تبرز كوكيل اقتصادي رئيس لروسيا، صحيفة اليوم السابع، 12/8/2022، الموقع الإلكتروني: www.youm7.com/story/2022/8/12/586836

9. صراع أمريكا وروسيا على الهند وباكستان.. الأسباب والتداعيات، صحيفة الاستقلال، 9/5/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.alestiklal.net/ar/view/2411/dep-news-1568456724.

10. محمود العدم، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

ب. التسليح

إنَّ التعاون العسكري هو أحد المؤشرات التي يعوَّل عليها في ترسيخ العلاقة بين روسيا والهند، فمنذ بداية الانفتاح الدبلوماسي بين الدولتين كانت إحدى الركائز التوثيق هي استيراد الأسلحة والمعدات الحربية من روسيا، إذ مثَّلت روسيا مزوِّداً رئيساً للهند بالأسلحة، التي تتطلَّع لتحديث قواتها المسلحة وفي أكتوبر 2018، وقعت موسكو ونيودلهي عقداً بتوريد (5) منظومات دفاع جوي من طراز «إس 400» بقيمة تجاوزت (5) مليارات دولار، فضلاً عن عقد لتوريد (4) فرقاطات عسكرية روسية ودفعة كبيرة لأنظمة «إيجلا» الصاروخية إلى الهند، وكشف مساعد الرئيس الروسي يوري أوشاكوف، في نهاية عام 2020، عن أنَّ روسيا والهند ستوقعان (10) اتفاقيات مهمة على هامش زيارة الرئيس الروسي لنيودلهي. وهذا يمثِّل تسليم القاذفات الإستراتيجية الروسية طراز توبوليف (160) ذروة التعاون الدفاعي مع الهند[11]، ذكرت تقارير أنَّ عملية التسليم بدأت، لكن الأمر يهدِّد بزعزعة العلاقة بين نيودلهي وواشنطن.

ويرى المختصون في الشأن الروسي الهندي أنَّ «موسكو تؤيِّد سياسات رئيس الوزراء الهندي في كشمير»، في حين رفضت الهند توجيه انتقادات إلى روسيا بشأن تدخلها في أوكرانيا عام 2014، ويرون أنَّ روسيا ما زالت شريك الدفاع الوحيد للهند الذي يرغب المشاركة في التكنولوجيا الحساسة التي تمكِّن الهند من تصنيع غواصاتها الصاروخية النووية بنفسها، ويجب الأخذ في الحسبان حقيقة أنَّ الصادرات الدفاعية الروسية تجري من دون إشراف سياسي، فضلاً عن ألَّا يقتصر الأمر على مجرَّد إبرام صفقات أسلحة ومعدات قتالية، لكنَّه يمتد ليشمل التزام روسيا صيانة الأسلحة السوفياتية الصنع، التي تملكها الهند، وتزويدها بقطع الغيار اللازمة للإصلاح، وتوفير الأسلحة والعتاد العسكري، التي تطلبها الهند، لمواجهة التهديدات المحيطة بها، وتوريد معدات عسكرية عالية التقنيات، بما فيها الصواريخ الباليستية والغواصات الذرية وذلك على عكس ما يحدث إلى الأسلحة الأمريكية التي لا تتقاسم التكنولوجيات الحيوية، أو حتى أنظمة مثل (F-22) رابتور مع حلفائها المقربين، في حين أنَّ موسكو لطالما أبدت استعدادها لتعميق الشراكة مع مختلف الفواعل الدولية التي تدعم تأسيس نظام دولي جديد متعدد الأقطاب[12].

11. الهند وروسيا.. علاقات متنامية وموقف حرج، موقع الحرة، ترجمات- دبي، 28/2/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.alhurra.com/alhrb-ly-awkranya/2022/02/28/.

12 . شروق مستور، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

في شهر كانون الأول/ديسمبر عام 2021، زار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الهند مجدداً، والتقى رئيس الوزراء ناريندرا مودي، ووُقِّعت عديد من الاتفاقيات، مع التركيز على التعاون العسكري والتقني، والتعاون في الساحات السياسية الدولية[13].

فمع التقارب الهندي الأمريكي، إلا أنَّ العلاقات الدفاعية بين الهند وروسيا ما زالت مستمرة، وما زال البلدان شريكين عسكريين كبيرين، صحيح أنَّ الهند معتمدةً اعتماداً متزايداً في الحصول على الأسلحة على دول أخرى، مثل الولايات المتحدة وفرنسا، لكن معظم العتاد العسكري الهندي ما زال روسي المصدر، واعتماد الهند على روسيا ما زال مستمراً في قطع غيار الأسلحة، وما زال التعاون الدفاعي أساس العلاقات الروسية الهندية وتتجاوز قيمة الصفقات، التي أبرمتها الدولتان طوال المدَّة الممتدة بين عامي 2000 و2017 نحو (39) مليار دولار، بحيث تقوم روسيا سنوياً بتوريد أسلحة ومعدات عسكرية إلى الهند بما قيمته (4.5) مليار دولار، فضلاً عن أنَّ روسيا قامت طوال مدَّة التعاون العسكري الفني بين البلدين بتوريد معدات عسكرية إلى الهند بقيمة تزيد على (65) مليار دولار، مع تحذير الولايات المتحدة بفرض عقوبات على الهند في شراء منظومة الصواريخ الروسية الشهيرة «أس-400» للهند، وتراجع حصة روسيا من التسليح الهندي من (70% إلى 49%)؛ بسبب قرار الهند تنويع مصادرها وتعزيز التصنيع الدفاعي المحلي، إلا أنَّ الهند قد أصرت على المضي قدماً في الحصول على تلك الأنظمة مع تقاربها مع الولايات المتحدة[14].

تعلُّق روسيا الاتحادية بدورها أهمية بالغة على علاقاتها بنيودلهي والسوق الهندية الضخمة، وخصوصاً في مشترياتها من الأسلحة والعتاد العسكري، فضلاً عن رغبة روسيا في تحسين ترسانة الهند النووية، عن طريق بيعها غواصات نووية ومعدات إلكترونية متطورة، وأنظمة صواريخ باليستية ومفاعلات نووية، وغيرها، مع معارضة واشنطن وباكستان والصين ذلك؛ لذا تتوافق مصالح البلدين في عدد من المجالات. فالهند الطموحة في حاجة إلى التكنولوجيا العسكرية الروسية وروسيا بدورها تعاني مشكلات اقتصادية وعقوبات أوروبية وأميركية عليها ومع اتفاق الهند وروسيا مع الصين على معارضة النظام الدولي القائم على القطبية الأحادية، وهيمنة الولايات المتحدة على مجريات الأمور على الساحة الدولية، وتفضيل هذه الدول قيام نظام دولي متعدد الأقطاب، فإنَّ روسيا ناظرة إلى الهند، بوصفها مكسباً إستراتيجياً شديد الأهمية، في ظل سعي موسكو لإعادة ترتيب علاقاتها وتحالفاتها الإقليمية والدولية[15].

13. عبدالخالق فاروق، مصدر ذُكِرَ سابقاً.
14. ذكر رحمن، مصدر ذُكِرَ سابقاً.
15. عبدالخالق فاروق، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

فالطفرة في التعاون العسكري الروسي الهندي دفعت الولايات المتحدة إلى تحذير الهند، بل تهديدها حيال تداعيات تطور التعاون العسكري مع روسيا، وهو ما ردت عليه نيودلهي بأنَّها «لا تميل على الإطلاق إلى التنصُّل من علاقاتها مع موسكو لتعزيز العلاقات مع واشنطن».

أمَّا في حال اتجاه الولايات المتحدة لمعاقبة الهند، في إطار قانون «جاستا»، فإنَّ هذا الأمر من شأنه أن يدفع نيودلهي إلى مزيدٍ من الالتحاق بروسيا كلا الاحتمالين يؤدِّيان إلى مكاسب روسية، ويعمِّقان من حميمية العلاقات الروسية الهندية، وهو ما يفتح آفاقاً اقتصادية وجيوسياسية كبرى بين البلدين، وقد يؤدي لاختلال التوازنات الجيوسياسية على الصعيد العالمي، خصوصاً مع دخول الصين مضطرة إلى هذا المحور في غضون خمسة أعوام من الآن، حين تقدِّم على خطوة إلحاق تايوان الكامل بالتراب الصيني[16].

ج. التجارة

الهند هي خامس أقوى اقتصاد في العالم، متجاوزة بريطانيا وفرنسا وروسيا في عام 2019، وهي تمثِّل ثقلاً في النظام الدولي من النواحي كلها، فمع عمق العلاقات الهندية الروسية، وطابعها ذي الأبعاد الإستراتيجية والأمنية الواسعة النطاق، فإنَّ التعاون والتبادل التجاريين بين البلدين ظلّا بمنزلة الحلقة الأضعف في هذه العلاقات الإستراتيجية، فلم يزد مستوى التبادل السلعي بين البلدين في عام 2006 على (3.2) مليارات دولار، وارتفع في عام 2007 إلى (5.3) مليارات دولار عام 2007، ثم إلى (7.5) مليارات دولار في عام 2009. وعموماً، في المدَّة الممتدة بين عامي 2010 و2017، ظل التبادل التجاري بين البلدين يتراوح بين (8 و10) مليارات دولار أميركي سنوياً –ما عدا الصفقات العسكرية والتسليح– كما أنَّ عدد المشاريع الصناعية الروسية في الهند بلغ (70) مشروعاً صناعياً، منها (27) مشروعاً للطاقة، و(9) مشاريع للفولاذ، و(12) مشروعاً للكيميائيات. وهناك مشروع المفاعل النووي الذي ترعاه موسكو في منطقة كودانكولام في ولاية تاميل نادو الجنوبية[17].

مع ذلك فإنَّ الجانبين يحرصان على تنفيذ الخطط الطموحة، مع عدم وصولها المستوى المطلوب وَفْق إحصائيات في نهاية عام 2021، بحيث بلغت (8.1) مليارات دولار أميركي (منها الصادرات الهندية 2.6 مليار دولار، والواردات من روسيا 5.48 مليارات دولار). وفي

16. صراع أمريكا وروسيا على الهند وباكستان.. الأسباب والتداعيات، صحيفة الاستقلال، 9/5/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.alestiklal.net/ar/view/2411/dep-news-1568456724.

17. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-2)، مصدر ذُكِر سابقاً.

المدَّة نفسها، ووَفْق الأرقام الروسية، بلغت التجارة الثنائية (9.31) مليارات دولار (إذ بلغت الصادرات الهندية 3.48 مليارات دولار، في حين بلغت الواردات من روسيا 5.83 مليارات دولار). ويستهدف البلدان تعزيز التعاون، تجارياً واقتصادياً، وزيادة الاستثمار الثنائي إلى (50) مليار دولار، وزيادة التجارة الثنائية إلى (30) مليار دولار بحلول عام 2025. لكنَّه هدف متواضع إلى حدٍّ كبير، مقارنة مع حجم التجارة بين روسيا والصين البالغ (110) مليارات دولار في عام 2019[18].

وفي زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للهند في كانون الأول/ديسمبر 2021، عُقِدَت القمة السنوية العشرين الهندية الروسية، ووُقِّع على (50) اتفاقية، بينها (15) وثيقة على المستوى الحكومي، و(35) اتفاقية في الشؤون الاقتصادية والتجارية[19].

إنَّ حجم التعاملات الروسية– الهندية ربَّما لا يكون مصدر القلق فيما يتعلَّق بهذا الإجراء، بل اتساع نطاق هذا الإجراء، على نحو قد يؤدِّي لنظام مالي عالمي موازٍ لنظام الدولار الأميركي، وهو ما يمثِّل تهديداً حقيقياً لقيمة الدولار في حال اتسع نطاق هكذا إجراءات، وبخاصة مع تزايد النفوذ الصيني في قارات مثل إفريقيا وأميركا الجنوبية، فضلاً عن القارة الآسيوية[20].

وأشار أحد الخبراء، إلى أنَّ الهند إلى جانب الصين وبعض الدول الأخرى، تحصل على مزايا من تحوُّل روسيا الجزئي نحو الشرق الناجم عن العقوبات الغربية. وفي الوقت نفسه، مقارنة بالصين، فإنَّ الهند أقل انخراطاً في العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة، «وهذا هو السبب في أنَّ أخطار العقوبات الثانوية أقل للشركات الهندية مقارنة بالشركات الصينية». فضلاً عن ذلك، فقد تشارك الهند في الجهود المبذولة لإنشاء سلاسل التوريد، واللوجستيات الجديدة.

وأكَّد الخبراء أنَّ «العقوبات تقيِّد التصدير المباشر لعديد من السلع من الدول الغربية إلى روسيا، في حين يمكن للشركات الهندية شرائها وتسليمها لاحقاً إلى روسيا، لا سيَّما كجزء من مخطط «الاستيراد الموازي»[21]، ومع تعدُّد الزيارات الرسمية بين قادة البلدين طوال الأعوام العشرين الماضية، فإنَّ مجالات التعاون ظلَّت تتسع من دون أن تزداد في المقابل فرص التبادل التجاري بينهما.

18. ذكر رحمن، مصدر ذُكِرَ سابقاً
19. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-2)، مصدر ذُكِرَ سابقاً
20. صراع أمريكا وروسيا على الهند وباكستان.. مصدر ذُكِرَ سابقاً.
21. صحيفة روسية: الهند تبرز كوكيل اقتصادي رئيس لروسيا، صحيفة اليوم السابع، 12/8/2022، الموقع الإلكتروني: www.youm7.com/story/2022/8/12/586836

2. المحدِّدات الخارجية

أ. الولايات المتحدة الأمريكية والتوجهات الجديدة إزاء الهند

تطوَّرت العلاقات الهندية الأميركية في الأعوام الثلاثين الماضية، وتحديداً بعد تفكُّك الاتحاد السوفياتي عام 1991. فالحقيقة أنَّ أبرز قادة حركة تحرُّر الهند ارتبطوا في البداية بعلاقات طيبة بالولايات المتحدة الأميركية، استمرت إلى ما بعد الاستقلال عن بريطانيا عام 1947، لكن بسبب تحالف الولايات المتحدة مع باكستان وتأييدها لها في عام 1954، ضمن حلف بغداد، ردَّت الهند بتطوير علاقات إستراتيجية وعسكرية مع الاتحاد السوفياتي لمجابهة العلاقات الباكستانية الأميركية، فازدادت تدهوراً حتى عام 1991 حينما تفكَّك الاتحاد السوفياتي. بعدها، كيَّفت السياسة الخارجية الهندية نفسها مع العالم الأحادي القطب، ونمَّت صلات أوثق بالولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي، ففي عام 2016، وقَّعت الولايات المتحدة والهند مذكرة اتفاق التبادل اللوجيستي، وأُعْلِنَ أنَّ الهند شريك دفاعي رئيس للولايات المتحدة الأميركية[22].

وعلى مدى العقدين الأخيرين، أصبحت الولايات المتحدة الشريكة التجارية الأولى للهند، وتوسع مجال التبادل في السلع والخدمات من (20.7) مليار دولار في عام 2001، ليصل إلى (126.0) مليار دولار أميركي في عام 2017 (منها صادرات الهند إلى الولايات المتحدة بقيمة 76,7 مليار دولار، في مقابل واردات الهند من الولايات المتحدة بقيمة بلغت 49.4 مليار دولار). وفي عام 2019، قفز حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى ما يقارب (147) مليار دولار.

كما بلغ إجمالي الاستثمارات الأميركية التراكمية المباشرة في الهند عام 2019 نحو (46) مليار دولار، وأصبحت الشركات الأميركية أكبر المستثمرين في الهند. ويساهم هذا الاستثمار في خلق فرص العمل، وزيادة المستهلكين، ونشر التكنولوجيا، وتحسين الأوضاع الاقتصادية للهنود، ومنذ عام 2017، أصبحت الولايات المتحدة مصدراً مهماً للطاقة في الهند، إذ ارتفعت صادرات النفط الخام الأميركي إلى الهند من صفر في عام 2016، إلى (93) مليون برميل في عام 2019، ونمت صادرات الغاز الطبيعي المسال الأميركية أكثر من خمسة أضعاف من عام 2016 إلى عام 2019[23].

22. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-1)، مجلة الميادين، 4/5/2022، الموقع الإلكتروني: www.almayadeen.net/research-papers/2-1

23. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-1)، المصدر السابق.

ترافق تحوُّل الهند إلى السياسات الليبرالية الجديدة مع إعطاء الأولوية للعلاقات مع الولايات المتحدة، وهو ما يتجلَّى في زيادة التجارة وتنويع الواردات الدفاعية، إذ وُقِّعَ على اتفاقيات مع الولايات المتحدة لتوفير الدعم اللوجستي لسفنهم، والهند عضو في المنتدى الرباعي (QUAD) والتدريبات العسكرية مثل (RIMPAC) التي تعرض قوة الناتو في المحيط الهادئ، فضلاً عن القوة الناعمة الأمريكية والهنود الذين يعملون في الولايات المتحدة، لكن الهند تأكدت من عدم اتخاذ أي منتدى تشارك فيه موقفاً ضد روسيا، لقد ضمنت الهند علاقاتها الإستراتيجية مع روسيا، تمكن القدرات الدفاعية والسوق الهندية الضخمة الهند من الاحتفاظ بالاستقلال الإستراتيجي[24].

ففي مطلع فبراير/شباط 2022، أصدرت إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن إستراتيجيتها الجديدة لمنطقة المحيطين الهندي والهادئ، والتي وصفها خبراء بأنَّها تمنح الحضور الأميركي وأهدافه هناك جدية أكبر فالوثيقة الإستراتيجية حدَّدت أهداف واشنطن ودورها في تعزيز حرية وانفتاح المحيطين الهندي والهادئ، وبناء التواصل عبر المنطقة وخارجها، وتأتي الهند على قائمة الدول التي تعتمد عليها واشنطن في تنفيذ هذه الإستراتيجية جنباً إلى جنب مع المملكة المتحدة وأستراليا وفي مطلع أيلول 2021، وقعت الولايات المتحدة اتفاقية لتزويد أستراليا بالغواصات التي تعمل بالوقود النووي، من أجل خدمة هذه الإستراتيجية، وهي الاتفاقية التي حملت اسم (أوكوسAUKUS) فإنَّ العمل في منطقة المحيطين الهندي والهادئ لا يمكن أن يمضي قدماً من دون ضمان استقرار جنوب آسيا، وهو ما يجعل الهند شريكاً إستراتيجياً للولايات المتحدة في تحقيق هذا الهدف الوسيط لإستراتيجيتها.

التحالف بين الولايات المتحدة والهند، والذي كان قاب قوسين أو أدنى، يكفل لواشنطن منع تشكل أكبر تحالف اقتصادي آسيوي قد يؤثِّر بقوة على توازن القوة في القارة، بقدر ما يؤثر على إستراتيجية البيت الأبيض لمواجهة التصاعد والشراكة بين الصين وروسيا.

تمتلك الهند سادس أكبر الاقتصادات على مستوى العالم، بناتج محلي إجمالي يبلغ (2.66) تريليون دولار وَفْق بيانات البنك الدولي لعام 2022.

24. Anuradha Chenoy, Russia-India Relations in a Transformative World Order, Valdai discussion club, 20.07.2022, https://valdaiclub.com

وتمثِّل خطورة هذا الرقم في انضمامه لمحور يبدأ بالهند، ويتصاعد مع الصين التي يبلغ الناتج المحلي الإجمالي لها (14.7) تريليون دولار، ما يجعلها الاقتصاد الثاني عالمياً بعد الولايات المتحدة، وصولاً إلى ثالوث هذا المحور.

وهي روسيا التي يقع اقتصادها في الترتيب الحادي عشر عالمياً لعام 2022، بناتج محلي إجمالي يبلغ نحو (1.48) تريليون دولار وَفْق بيانات البنك الدولي للإنشاء والتعمير.

علاقة التحالف الاقتصادي ليست ضرباً من التخمين. فالهند ثاني أكبر اقتصاد ضمن تحالف خماسي يضمها على جانب الصين وروسيا والبرازيل وجنوب إفريقيا، يحمل اختصاراً اسم (بريكسBRICS) الذي دشنته أربع دول في يونيو/حزيران 2009، لتنضم الدولة الإفريقية إليه لاحقاً في عام 2010، ويبدو هذا التحالف نواة عتق موسكو من العقوبات الغربية[25].

ومع محاولة الهند الموازنة في علاقتها بين روسيا والولايات المتحدة إلا أنَّها تواجه صعوبة. فاتخاذها مَيْلاً إستراتيجياً نحو الولايات المتحدة في العقد الماضي، لا ينفي أن تكون روسيا أكبر مورداً للمعدات الدفاعية إليها[26].

وفي إطار الحرب الروسية الأوكرانية رفضت دول «البريكس»، بما في ذلك الهند، المشاركة في العقوبات ضد روسيا. ولم يقتصر الأمر على عدم قيام الهند بتعليق التجارة مع روسيا فحسب، بل زادت من واردات الطاقة الروسية بصورة كبيرة.

لقد أحرج هذا الولايات المتحدة؛ لأنَّ قدرات واشنطن لم تعد تحقق طموحاتها الإستراتيجية، والنطاق الذي يمكنها السيطرة عليه، إذ لا يوجد سوى عدد قليل من «الدول التابعة» للولايات المتحدة، ولن يتطوَّر الوضع الدولي وَفْقاً لعصا واشنطن[27].

ب. الصين

بدأت العلاقة الحديثة بين البلدين في عام 1950 حينما اعترفت الهند بجمهورية الصين الشعبية كحكومة شرعية لبر الصين الرئيس، واتَّسمت العلاقات بين البلدين ببعض الحساسيات

25. صراع أمريكا وروسيا على الهند وباكستان، مصدر ذُكِرَ سابقاً.
26. شروق مستور، مصدر ذُكِرَ سابقاً
27. غلوبال تايمز»: الهند تكشف ثغرات «السردية الأمريكية» بشأن أوكرانيا، صحيفة الميادين، 12/4/2022، الترجمة هيثم مزاحم، الموقع الإلكتروني:https://www.almayadeen.net/press/

والنزاعات الحدودية، ونشبت فعلاً أربعة نزاعات عسكرية بين البلدين. الأولى عام 1962، والتي عُرفت بالحرب الهندية الصينية. والثانية هي حادثة شولا في عام 1967، والثالثة في المناوشات الصينية الهندية في عام 1987، كما اشتبك البلدان في هضبة دوكلام على طول الحدود الصينية البوتانية المتنازع عليها في أوائل عام 2017، ومع ذلك، فإنَّ البلدين نجحا في إعادة بناء العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي، وأصبحت الصين من أكبر الشركاء التجاريين للهند في عام 2008، وأعلنت الصين والهند، في حزيران 2012، أنَّ (العلاقات الصينية الهندية) قد تكون «أهم شراكة ثنائية في القرن». وحدَّد كلٌّ من (ون جيا باو) رئيس مجلس الدولة الصيني، و(مانموهان سينغ) رئيس وزراء الهند في ذلك الشهر هدفاً لزيادة التجارة الثنائية بين البلدين إلى (100) مليار دولار أميركي بحلول عام 2015[28].

ويمكن حصر العوائق الرئيسة على الأقل أمام تطبيع العلاقات بالكامل بين البلدين بالنقط الثلاث الآتية:

1. الحدود.
2. المطالبة بالفك الكامل للقوات الصينية من على الحدود الهندية.
3. رؤية المؤسسة السياسية في نيودلهي بأنَّ الصين تُعدُّ أهم تحدٍّ أمني للهند.

أثارت الإجراءات الصينية الأخيرة مجموعة من المخاوف، لا سيَّما الوجود الدبلوماسي والعسكري لبكين حول المحيط الهندي، والرأي العام في الهند يعادي الصين معاداةٍ كبيرة، ففي الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الصيني (وانج يي) إلى الهند إشارة إلى رغبة الصين في تخفيف التوترات في العلاقات الصينية–الهندية التي نتجت عن اشتباكات عام 2020 في جبال الهملايا، وكانت الزيارة التي تمت يوم 25/3/2022 ذات أهمية خاصة، إذ جاءت بعد الغزو الروسي لأوكرانيا وقرار الهند اللاحق بعدم الانضمام إلى حملة الغرب لإدانة الرئيس فلاديمير بوتين، إذ تأمل موسكو وبكين أن تتذكَّر دلهي كراهيتها التاريخية للغرب، وأن تعكس خطواتها الساعية للتقرُّب من الولايات المتحدة، على حين في الإمكان حدوث تقدُّم يسير في العلاقات الصينية الهندية، مع وجود حواجز كبيرة أمام تطبيع العلاقات بينهما على نطاق واسع.

28. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2–2)، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

على الضفة الأخرى ومع أنَّ الهند تشترك مع الصين وروسيا في نظرتها الجيوسياسية العالمية، وتفضِّل نظاماً عالمياً متعدِّد الأقطاب في المستقبل تقلُّ فيه بصورة كبيرة سيطرة الولايات المتحدة، وتُمثِّل فيه الهند الصاعدة بصورة عادلة في المؤسسات الدولية، إلا أنَّها تواصل تعميق علاقاتها الأمنية مع الولايات المتحدة وشركائها ضمن التحالف الرباعي (QUAD) للحد من النفوذ الصيني في المنطقة، وتدرك بكين مخاوف هذا التحالف لذا تعمل على استمالة الهند من المشاركة الفعلية في هذا التحالف الرباعي، وبالعمل بصورة إيجابية في مجموعة البريكس (التي تضم البرازيل، والهند، وروسيا، والصين، وجنوب أفريقيا)، والتي ستستضيفها الصين هذا العام، وكان حضور رئيس الوزراء الهندي (ناريندرا مودى) أمراً مهماً لنجاح القمة، خصوصاً إذا انضمت الهند إلى اجتماع (ريك ـ RIC) الثلاثي المكوَّن من روسيا والهند والصين، مع رفض الهند تأكيد حضور (مودى) للقمة[29].

ولا يمكن إخفاء الدور الأمريكي والأدوات التي يعمل عليها في سبيل جذب الهند إلى اقتراب إستراتيجي من الولايات المتحدة في منافستها الكبرى مع الصين على النفوذ الأكبر في آسيا، وهذا التصور قائم على رأي يرى أنَّ الهند خرجت من إطار عدم الانحياز إلى قطب دولي، وأنَّها بالذات تحت حكم رئيس الوزراء (مودى) الذي هو النقيض لكل ما مثَّله حزب المؤتمر الذي حكم الهند طوال عقود ما بعد الاستقلال، دخلت فعلاً وفكرياً وعن طريق مصالح الطبقة الحاكمة فيها في المعسكر الغربي.

كما يرى الأميركيُّون أنَّ مصالح الصين التجارية بدأت تُعبِّر عن نفسها عن طريق وجودٍ عسكري– بحري في معظمه– يُقلق الهند، وهذا الوجود العسكري الصيني بمنزلة تطبيق للرؤية العسكرية الصينية المعروفة باسم (إستراتيجية المحيطين) الباسيفيكي والهندي[30].

وقد أظهرت الحرب الروسية الأوكرانية دفء العلاقات ما بين روسيا والصين وشعرت الهند بتداعيات هذا التقارب مع زيادة الحشود العسكرية الروسية على الحدود مع أوكرانيا، سافر بوتين إلى بكين لحضور افتتاح دورة الألعاب الأولمبية الشتوية والاجتماع مع الرئيس الصيني (شي جين بينغ)، وفي بيان مشترك أصدره الكرملين، أعلن الزعيمان أنَّ شراكتهما الإستراتيجية والدبلوماسية «لا حدود لها».

29. James Crabtree, China signals desire to improve ties with India, but is that what New Delhi wants? The International Institute for Strategic Studies, 30/3/2022, https://www.iiss.org

30. عبدالخالق فاروق، محددات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-2)، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

ويُعدُّ تعميق العلاقات بين بكين وموسكو تهديداً حقيقياً لنيودلهي، إذ قال سفير الهند السابق لدى كازاخستان والسويد ولاتفيا، أشوك ساجانهار، إذ إنَّه يعتقد أنَّ الصين سوف تبرز كأحد المستفيدين القلائل من الصراع الناشئ في أوروبا[31]، مع أنَّ روسيا تُعدُّ أكبر مصدر للأسلحة إلى الهند منذ الحقبة السوفيتية، فإنَّ نيودلهي تحتاج الآن إلى دعم أكبر من مجموعة «كواد» في مواجهة تنامي النفوذ الصيني في منطقة المحيطين الهندي والهادئ[32].

وفي جانب آخر جاءت زيارة سيرغي لافروف إلى الصين في شهر نيسان 2022، بإشارة إلى التوترات الجيوسياسية الناجمة عن العملية العسكرية الروسية، لتؤكِّد الدولتان معارضتهما العقوبات الغربية التي تعود بنتائج عكسية، وعليه قررتا –جنباً إلى جنب– التحرُّك نحو تأسيس نظام عالمي متعدِّد الأقطاب يقوم على العدل، فيما أشار وزير خارجية الصين إلى أنَّ البلدين يبديان رغبة في تطوير العلاقات الثنائية وتطوير التعاون في مختلف المجالات، مع تحذير الولايات المتحدة الصين من تداعيات تقديم المساعدة إلى روسيا، واعتزامها فرض عقوبات على الشركات الصينية، التي تشكل المكونات الأمريكية فيها أكثر من (25%) من تركيبة المنتج في حال تصديرها البضائع إلى روسيا، مع ضرورة حصول هذه الإمدادات على ترخيص من واشنطن، في الوقت الذي أظهرت فيه الصين –في عديدٍ من المناسبات– عدم استسلامها لضغط العقوبات، وهو ما جعلها عرضةً للقيود الأمريكية طيلة السنوات الأخيرة، وجاء ذلك بالتزامن مع انسحاب الشركات الغربية من السوق الروسية ممَّا خلق فرصاً جديدة أمام الشركات الصينية لا سيَّما في قطاع الطاقة.

وطبقاً لما نقلته وكالة «رويترز» في أواسط هذا العام إلى أنَّ الصين التزمت بتطوير العلاقات الاقتصادية مع روسيا، مع تداعيات ذلك عليها، وأعلنت وزارة الخارجية الصينية عن إمكانية استخدام الروبل أو اليوان في إجراء المعاملات التجارية في المواد الطاقية.

في أعقاب الزيارة توجه لافروف مباشرة إلى العاصمة الهندية دلهي، ووَفْق ما تداولته وسائل الإعلام الهندية ناقش لافروف مع نظيره الهندي سوبرامانيام جايشانكار، ومستشار الأمن القومي الهندي أجيت دوفال، مسألة نظام الدفع عبر الحدود كبديل لنظام سويفت الذي حظر الغرب البنوك الروسية من التعامل به، وأفادت وسائل الإعلام الهندية إلى أنَّه سيُودع العملة الروسية في أحد

31. الهند وروسيا.. علاقات متنامية وموقف حرج، موقع الحرة، ترجمات– دبي، 28/2/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.alhurra.com/alhrb-ly-awkranya/2022/02/28/.

32. مأزق الهند في أزمة أوكرانيا.. «الحيرة» بين روسيا والغرب، سكاي نيوز الإخبارية، 20/3/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.skynewsarabia.com/world/1509263

البنوك الهندية، ومن ثَمَّ تحويلها إلى روبية، والعكس صحيح، وتحقيقاً لهذا الغرض، سوف يُستخدم نظام تحويل الرسائل المالية، النظير الروسي لنظام التحويل المالي سويفت، مبينة أنَّ زيارة لافروف تهدف إلى تعزيز التعاون في مجال الطاقة بين البلدين، فقد عرضت روسيا على الهند شراء النفط بخصم يصل إلى (35) دولاراً للبرميل الواحد[33].

3. الحرب الروسية الأوكرانية

للحرب في أوكرانيا تداعيات اقتصادية وسياسية على العالم بأسره، والهند بدورها من الدول التي تتأثر بهذه الأزمة، إذ يقول السفير الروسي، دينيس أليبوف، إنَّ الأزمة الحالية في أوكرانيا ستكون لها عواقب على العالم بأسره، ومن ضمن ذلك العلاقات الروسية الهندية، ولا يمكن تصوُّر مدى تأثيرها الآن، وأضاف أنَّه مع وجود عقوبات اقتصادية فهناك آليات يمكن استغلالها؛ لتجنُّب الخسائر، بل الاستفادة من هذه الأزمة، وقال: «من المنطقي أن يستغل الهنود الموقف بعدما رفض عديد من الشركاء الغربيين التعاون معنا، ويخترقوا السوق الروسية بنشاط أكبر، وتحاول السلطات في موسكو الحفاظ على علاقاتها مع الهند، عن طريق فتح أبواب التعاون الاقتصادي لضمان مكاسب مشتركة للطرفين، روسيا من جهة التي تعاني من عقوبات من الغرب، والهند، من جهة أخرى، التي ستجد السوق الروسية مناسبة جداً وأقرب لاستغلال الفراغ الأوروبي[34].''

وبخصوص موقف الهند من الحرب الروسية الأوكرانية قال الباحث في مركز ويلسون، مايكل كوغلمان: «لم تنتقد الهند روسيا انتقاداً مباشراً، لكن هذا لا يعني أنَّ الهند تغضُّ الطرف عن معاناة الأوكرانيين. لقد تبنت نهجاً متوازناً. وتحدثت بقوة عن وحدة الأراضي في مجلس الأمن الدولي، وكان من الواضح أنَّها تهدف إلى تسليط الضوء على محنة أوكرانيا»[35].

وأوضح كوغلمان أنَّ الهند يمكن أن ترسل رسالة قوية للغاية إلى دول منطقة المحيطَين الهندي والهادئ، عن طريق الوقوف في وجه موسكو، لكن مثل هذه الخطوة لن تكون مرجَّحة، على حدِّ قوله، ويرى الباحث الإستراتيجي، هنري ويلكنسون، أنَّ حياد الهند ساعدها في الأوقات السابقة،

33. روعة قفصي، صحيفة: روسيا تضاعف نشاطها الدبلوماسي مع الهند والصين، 2/4/2022، صحيفة العربي21، الموقع الإلكتروني: https://arabi21.com/story/1428981

34 . شروق مستور، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

35. فيكاس باندي، لماذا لا تنتقد الهند غزو روسيا لأوكرانيا؟ بي بي سي نيوز – دلهي،1/3/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.bbc.com/arabic/world-60573281

بيد أنَّه قد لا يكون فعالاً في المستقبل. وأضاف: «لقد أثبتت أوكرانيا أنَّها مثال جيد على أهمية تحالفات الحماية في المستقبل»[36].

وصرَّح وزير الخارجية الهندي سوبراهمانيام جايشانكار في السباق، رداً على الانتقادات الموجهة لموقف بلاده المحايد بشأن الحرب الروسية الأوكرانية في منتدًى أمني في سلوفاكيا في يونيو، قال جايشانكار: «على أوروبا أن تخرج من عقلية أنَّ مشكلات أوروبا هي مشكلات العالم، لكن مشكلات العالم ليست مشكلات أوروبا»[37].

ويأتي هذا بعد أن امتنعت الهند خمس مرات حتى الآن عن إدانة تصرفات روسيا في الأمم المتحدة، وكررت فقط «الالتزام بمبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والقانون الدولي، واحترام السيادة والسلامة الإقليمية لجميع الدول»، وكان رئيس الوزراء الهندي، ناريندرا مودي، قد اتصل بالرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، وحثه على «الوقف الفوري للعنف»، لكنَّه لم ينتقد روسيا أو زعيمها، وجاء في بيان للكرملين بعد الاتصال أنَّ «رئيس وزراء الهند يقدر التفسير» الروسي لما تَعدُّه انتهاكات لاتفاقية مينسك، وأنَّ (مودي) ناقش سلامة (18) ألف طالب هندي في أوكرانيا، وفي اجتماع لمجلس الأمن الدولي في شهر شباط 2022، وافق (11) عضواً على قرار يطالب موسكو بوقف عدوانها على أوكرانيا وسحب جميع قواتها، في حين امتنعت ثلاث دول عن التصويت، وهي الصين والإمارات العربية المتحدة والهند، في حين استخدمت روسيا حق النقض (الفيتو) لإجهاض القرار[38].

من جانب آخر، فإنَّ الهند تشعر بقلق متزايد بشأن الطريقة التي ستؤثر بها الأزمة الأوكرانية على علاقة روسيا بالصين، إذ تتخوَّف الهند من أنَّ الحرب في أوكرانيا ستسيطر على تركيز كل الفواعل، وهذا سيسمح للصين بتصرُّف أكثر عدوانية ضد الهند وضد تايوان، وبالنظر إلى الوضع العام فنيودلهي تقف أمام مفترق طرق، فهي تحاول الحفاظ على علاقاتها مع روسيا مع خلافها مع الصين، وفي الوقت نفسه تتخوَّف من التعاون الإستراتيجي الروسي_الصيني، واحتمال تأثيره على

36. شروق مستور، المصدر السابق.

37. SUSHANTA MALLICK and BRIGITTE GRANVILLE, What Does India Want from Russia? project-syndicate
Aug 12, 2022, https://www.project-syndicate.org/

38. الهند وروسيا.. علاقات متنامية وموقف حرج، موقع الحرة، ترجمات- دبي، 28/2/2022، الموقع الإلكتروني: https://www.alhurra.com/alhrb-ly-awkranya/2022/02/28/.

موقعها كقوة إقليمية.

فهناك اعتقاد في موسكو بأنَّ الأمن الإقليمي في أوراسيا يرتبط –إلى حدٍّ بعيد– بالتفاعلات بين موسكو ونيودلهي وبكين، وبناء على ذلك ينظر إلى هذا الثلاثي على أنَّه منصة رئيسة إلى كثير من مبادرات السياسة الخارجية الروسية، من بينها كبح التمدُّد الغربي نحو الشرق الأوروبي.

في ظل الأزمة الأوكرانية الحالية، ومع دعم الهند النسبي لروسيا عن طريق التحفُّظ في تصريحاتها، فإنَّه في الوقت نفسه تمتلك الهند مصالح مشتركة مع الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن شراكات في مختلف القطاعات، لهذا تحاول السلطات الحفاظ على التوازن في علاقاتها مع الأطراف المتنازعة لكيلا تتصادم سياستها ودعمها لروسيا مع مصالحها مع واشنطن([39]).

وفي الوقت نفسه تسعى الهند موازنة شراكاتها، في العالم وجوارها، وترى قيمة في روسيا تتمتع بالقوة، خاصة كوسيلة لمنع الهيمنة الصينية في المنطقة، قال أولابالي: «إنَّ الهند قلقة بشأن انهيار روسيا تماماً، وتصبح دولة ضعيفة جداً في النظام العالمي؛ لأنَّ الهند تفضِّل نظاماً عالمياً متعدِّد الأقطاب حيث توجد فيها أكثر من قوة مفرطة»([40]).

ويمكن القول إنَّ هناك جملة من النقط الإستراتيجية التي أثَّرت على تفكير صنَّاع القرار في الهند وعلى الموقف الهندي إزاء الحرب الروسية الأوكرانية([41]):

1. الحرص على استمرار مستوى النمو الاقتصادي الراهن الذي وصلت إليه الهند.

2. طبيعة علاقاتها الشائكة والملتبسة بين طرفي الأزمة الأوكرانية الراهنة، ونقصد بهما روسيا من جانب، والولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي وسائر التحالف الغربي من جانب آخر.

3. طبيعة مشكلاتها المزمنة مع جارتها اللدود –باكستان– والأخطار والتهديدات المحيطة بها من ولاية كشمير.

4. الموقف من الصين.

39. شروق مستور، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

40. Jen Kirby Jen, Why India isn't denouncing Russia's Ukraine war, Vox news, Mar 18, 2022, https://www.vox.com

41. عبدالخالق فاروق، محدِّدات موقف الهند وقيوده تجاه الأزمة الأوكرانية (2-1)، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

حاولت واشنطن الضغط على نيودلهي لتغيُّر موقفها بشأن (أزمة أوكرانيا)، عبر «تحالف كواد»، إذ عُقِدَ اجتماع افتراضي لقادة الرباعي (كواد) في 3 مارس/ آذار 2022. وعقد اجتماع آخر في 24 مايو/ أيار 2022 في طوكيو. ناقش القادة المشتركون الأوضاع الإقليمية والعالمية، بما في ذلك تأثير الوضع في أوكرانيا على المحيطين الهندي والهادئ. اكتفى البيان الصادر عن الاجتماع بأنَّه ناقش «الأزمة الإنسانية المأساوية المستمرة»، وأكَّد «قواعد ومبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، لحل النزاعات بالطرق السلمية"، ومن ثَمَ أدَّت إلى عزل الهند في الحوار الأمني الرباعي، والذي تُعدُّ الهند عضواً فيه إلى جانب الولايات المتحدة، وقالت فيكتوريا نولاند، وكيلة وزارة الخارجية الأميركية للشؤون السياسية، لقناة (NDTV) الهندية، في 22 مارس/ آذار 2022: «نحن نعرف العلاقة التاريخية والعلاقات الدفاعية بين الاتحاد السوفييتي أولاً، ثم روسيا مع الهند في وقتٍ لم تكن فيه الولايات المتحدة مستعدّة لإقامة هذا النوع من العلاقات، لكن الأوقات تغيَّرت الآن، من حيث الولايات المتحدة، والرغبة الأوروبية في أن نكون شريكاً دفاعياً وأمنياً قوياً مع الهند، فإنَّنا نفعل المزيد والمزيد في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، وأضافت أنَّ الولايات المتحدة يمكن أن توفر «بدائل للهند لإجراء التحوُّل في العلاقات الدفاعية والأمنية». كما أكَّدت السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض (جين ساكي) في 11 إبريل/ نيسان 2022، في الاجتماع الافتراضي بين رئيس الوزراء الهندي (ناريندرا مودي) والرئيس الأميركي جو بايدن، أنَّ «الولايات المتحدة مستعدَّة لمساعدة الهند على تنويع وارداتها من الطاقة، ما سيجعلها أقل اعتماداً على روسيا»[42].

42. منال علان، الهند والغزو الروسي لأوكرانيا.. بين حليف قديم وشريك جديد، صحيفة العربي الجديد، 10/8/2022، الموقع الإلكتروني www.alaraby.co.uk/opinion/الهند-والغزو-الروسي-لأوكرانيا

الاستنتاجات

- بعد استقلال الهند من الاستعمار البريطاني سعت إلى أن تتبنَّى سياسية مستقلة ومحايدة؛ بهدف عدم دخول المعسكرين آنذاك، وقد بادرت في إنشاء حركة عدم الانحياز، إلا أنَّها مالت نحو السوفييت من الناحية العملية وثقت علاقتها معهم في كل الأصعدة العسكرية الاقتصادية والسياسية.

- بعد انتهاء الحرب الباردة جرى تغيير في بوصلة العلاقات الروسية الهند، إذ تداركت الهند مبدأ التكييف مع نظام أحادي القطبية ودخلت مرحلة جديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، وكان هذا بِلا شك متزامناً مع انفتاح روسيا مع الدول المجاورة للهند كالصين وباكستان التي تمتلك تاريخاً من الصراعات مع الهند.

- تناغم الموقف الهندي مع التطلعات السوفيتية والروسية؛ بسبب مواقف روسيا من القضايا التي تعدُّها الهند جزءاً من أمنها القومي كقضية إقليم كشمير، ودعم الروس لسياسات الهند فيها.

- طبيعة تعامل السوفييت والروس في علاقاتها التجارية والعسكرية أعطت الهند الأولوية للاستيراد منها في الوقت الذي منعت الولايات المتحدة من وصول الأسلحة إلى مناطق شرق آسيا، فضلاً عن سهولة تسليم السوفييت للمعدات العسكرية الحديثة، وهذا ما لا تفعله الولايات المتحدة مع شركائها أيضاً.

- إنَّ التغيُّرات الداخلية التي جرت في الهند بعد عام 1991 منها وصول حزب باراتيا جاناتا كان من أحد الأسباب التي غيَّرت من مسار تعامل الهند مع الغرب، وفتحت أبواب التجارة والاستثمار في العلاقات الهندية–الأمريكية.

- توثيق العلاقات بين روسيا والصين كذلك روسيا وباكستان كانت من المحفِّزات لتقوية علاقة الهند مع الولايات المتحدة ودخولها في أحلاف عسكرية مثل (QUAD).

- كشفت الأحداث الأخيرة في الساحة الدولية رؤية الهند إزاء روسيا وخصوصاً قضية أوكرانيا عام 2014 وعام 2022، إذِ امتنعت الهند من إدانة أعمال روسيا في أوكرانيا؛ ولأسباب عديدة تصعِّب على صناع القرار إهمال مساقات العلاقة الهندية الروسية فالطاقة والتعاون العسكري، والتجارة من المقومات التي تستند عليها الهند في علاقتها مع روسيا فاعتمادها الكبير في العتاد

والمعدات العسكرية هي على روسيا، فضلاً عن الشؤون النووية التي يشرف عليها الروس في تطوير برنامج الهند النووي.

- مع المسيرة التاريخية الطويلة من التعاون ما بين الدولتين الآن إلا أنَّ مستوى التجارة لا يصل للمستوى اللائق من التعاون، إذ يُعدُّ ضعيفاً إذا ما قُورِنَ بحجم التبادل التجاري ما بين روسيا والصين، أو الهند مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- سعت الولايات المتحدة إلى ضمان موقف من الهند حازم إزاء التدخُّل الروسي في أوكرانيا، وهي تدرك مدى قوة العلاقات بين الهند وروسيا؛ لذا تسعى لتوفير أرضية بديلة للهند في علاقاتها التجارية والصناعية والعسكرية، وهذا ما أكدتها السياسة الخارجية الأمريكية الحالية.

- تسعى الولايات المتحدة إلى تعظيم دور الهند ضمن تحالف (QUAD)، وأن تعطي لها الدور الكبير في القارة الآسيوية للوقوف بالضد من النفوذ الصيني والروسي، فضلاً عن إدراك الولايات المتحدة عن أخطار بروز دور الهند وتفعيله في تحالف بريكس التي تحتوي على الدول التي تسعى إلى إقامة نظام عالمي ذات تعددية قطبية.

- أمَّا الصين فهي إحدى نقط الخلاف بين الدولتين فالقضايا الشائكة بين الهند والصين والحدود بين الدولتين هي تحديات غير قابلة للتفكير في إيجاد صور لها، وبهذا فإنَّ مخاوف الهند من عزلة روسيا هي تمهِّد الطريق لصين أن تكون أكثر فائدة من هذه العقوبات والعزلة الدولية، خصوصاً أنَّ الهند ساعية إلى أخذ دور الشركات الغربية المنسحبة من روسيا اليوم، وبهذا فيُفْتَح آفاق للمستثمرين والتجار الهنود.

- مثَّلت القضية الأوكرانية أكثر المراحل حساسية في تاريخ الهند على الساحة الدولية، وخصوصاً الغربية فقد واجهت كثيراً من الانتقادات على إثر امتناعها عن التصويت في مجلس الأمن؛ لإدانة التدخُّل الروسي في أوكرانيا، ممَّا حدا بها إلى تأكيد مواقفها، ونظرتها المحايدة السابقة إزاء قضايا تمثِّل مفترق الطرق في السياسة الخارجية الهندية.